

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ
وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [الجدالة: 1]

❁ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا خُتِمَتِ الْحَدِيثُ بِعَظِيمِ الْفَضْلِ لَهُ سُبْحَانَهُ بَعْدَ إِثْبَاتِ عَجَزِ الْخَلْقِ، وَكَانَ قَدْ تَقَدَّمَ ابْتِدَاعُ بَعْضِ الْمُتَعَبِّدِينَ مِنَ الرَّهْبَانِيَّةِ بِمَا لَمْ يُصَرِّحْ لَهُمْ بِالْإِذْنِ فِيهِ فَكَانَ سَبَبًا لِلتَّضْيِيعِ، وَكَانَ الظَّاهَرُ الْمُؤَقَّتُ مِمَّا يَدْخُلُ فِي الرَّهْبَانِيَّةِ؛ لِأَنَّهُ مِنَ التَّبَيُّلِ وَتَحْرِيمِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ مِنَ الطَّيِّبَاتِ، وَكَانَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ ؓ قَدْ ظَاهَرَ مِنْ أَمْرَاتِهِ، وَكَانَ ذَلِكَ مِمَّا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ تَعَالَى، بَلْ نَهَى عَنْهُ فَضْلًا وَتَكَرُّمًا مِنْهُ سُبْحَانَهُ عَلَى عِبَادِهِ أَنْ يُحْمَلُوا أَنْفُسَهُمْ فَوْقَ طَاقَتِهِمْ جَاءَ بِحُكْمٍ عَامٍّ لِلْمَرْأَةِ الَّتِي اشْتَكَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَغَيْرِهَا مِنْ عِبَادِهِ، حَتَّى صَارَتْ وَاقِعَتُهَا رُخْصَةً عَامَّةً لِلْمُسْلِمِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مُعْلَمًا بِأَنَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ، وَكَانَ السَّمَاعُ لِذَلِكَ جَدِيرًا بِتَوَقُّعِ الْبَيَانِ الَّذِي هُوَ النُّورُ فِي هَذِهِ الرَّهْبَانِيَّةِ الَّتِي ابْتَدَعَتْ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَتَخْفِيفِ الْبَاسِ الشَّدِيدِ الَّذِي وَقَعَ مِنْ بَعْضِهِمْ؛ لِيَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ مَا لِهَذِهِ الْأُمَّةِ مِنَ الْكَرَامَةِ عَلَى رَبِّهَا، وَأَنَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ⁽¹⁾.

أُمَّةُ الْإِسْلَامِ
مَرْحُومَةٌ
مَخْصُوصَةٌ
بِالْكَرَامَةِ

❁ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿تُجَادِلُكَ﴾: (جدل) أصلٌ يدلُّ على استحكامِ الشَّيْءِ فِي استرسالٍ يَكُونُ فِيهِ⁽²⁾، وَمِنْ ذَلِكَ: الْجَدُولُ، وَهُوَ نَهْرٌ صَغِيرٌ مَمْتَدٌّ، وَمَاؤُهُ أَقْوَى فِي اجْتِمَاعِ أَجْزَائِهِ مِنْ الْمُنْبَطِحِ السَّائِحِ⁽³⁾، وَالْجَدَالَةُ:

(1) البقاعي، نظم الدرر: 332 / 19 - 333.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، ومحمد جبل، اللجم الاشتقاقي: (جدل).

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (جدل).

الأَرْضُ الصُّلْبَةُ⁽¹⁾، والجدالُ: المفاوضةُ على سبيلِ المنازعةِ والمغالبةِ، وأصله من جَدَلْتُ الحَبْلَ؛ أي: أحكمتُ فتلَّهُ، فكانَ المتجادِلَيْنِ يَفْتَلُّ كلُّ واحدٍ منهما الآخرَ عن رأيه⁽²⁾. والمرادُ بالمجادلةِ هنا: المساءلةُ⁽³⁾، والمراجعةُ في الكلامِ⁽⁴⁾.

(2) ﴿وَتَشْكِي﴾: (شكو) أصلٌ يدلُّ على توجُّعٍ من شيءٍ⁽⁵⁾، والشَّكْوُ والشَّكَايَةُ والشَّكَاةُ والشَّكْوَى: إظهارُ البتِّ والحزنِ، يقالُ: شَكَّوتُ واشتكيْتُ⁽⁶⁾، ويقالُ: أشكاهُ إذا جعلَ له شكوى، نحو: أمرضه، وأشكاهُ إذا أزالَ شكايتَه، فهو من الأضدادِ⁽⁷⁾، والمرادُ باشتكايتها هنا: إظهارُ بثِّها وما انطوتَ عليه من الغمِّ والهمِّ، وتضرُّعها إليه ﷺ⁽⁸⁾.

(3) ﴿تَحَاوَرَكُمَا﴾: (حور) أصلٌ يدلُّ على الرُّجوعِ إلى الشيءِ وعنه⁽⁹⁾، ومن ذلك يقالُ: حَارَ الماءُ في الغديرِ؛ أي: تردَّدَ فيه، وحَارَ في أمرِهِ؛ أي: تحيَّرَ وتردَّدَ⁽¹⁰⁾، والمحاورةُ والحوارُ: المُرَادَّةُ في الكلامِ، والمراجعةُ فيه⁽¹¹⁾، وهو المرادُ بالتَّحَاوَرِ هنا⁽¹²⁾.

❁ اللَّغْنَى الإِجْمَالِيَّةُ:

يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ قِصَّةِ مُجَادَلَةِ خَوْلَةَ بِنْتِ ثَعْلَبَةَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فيقولُ: قَدْ سَمِعَ اللَّهُ - يَا مُحَمَّدُ ﷺ - قَوْلَ الْمَرْأَةِ الَّتِي تَرَاوَعَكَ الْكَلَامَ فِي شَأْنِ مَظَاهِرَةِ زَوْجِهَا مِنْهَا، وَتَبَتْ مَا لَدَيْهَا مِنْ الِهِمِّ

رحمةُ الله
بالمرأةِ التُّضَرِّعَةِ
إليه، وسماعُها
شكواها من فوقِ
سبعِ سمواتِ

(1) الزَّيْدِي، تاج العروس: (جدل).

(2) الرَّاعِب، المفردات: (جدل).

(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 272 / 17.

(4) الراعي، تفسير الراعي: 4 / 28.

(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (شكو).

(6) الرَّاعِب، المفردات: (شكو).

(7) السَّمين الحلي، عمدة الحفاظ: (شكو).

(8) الألويسي، روح المعاني: 198 / 14.

(9) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللغة: (حور).

(10) الرَّاعِب، المفردات: (حور).

(11) الخليل، العين، والزبيدي، تاج العروس: (حور).

(12) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 478 / 29.

والحزن إلى الله، وتسأله الفرج، والله يسمع تحاوركما؛ لأن الله سميعٌ لكلام خلقه، بصيرٌ بأعمالهم وأحوالهم⁽¹⁾.

❁ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

دلالة ﴿قَدْ﴾ في ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ﴾:

أصل معنى الحرف ﴿قَدْ﴾ تحقيق الخبر، فهو من حروف توكيد الخبر، ولكن الخطاب في قوله تعالى هنا: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ للنبي ﷺ، وهو لا يخامرُهُ تردُّدٌ في أن الله يعلم ما قالت المرأة التي جادلت في زوجها، فتعين أن الحرف ﴿قَدْ﴾ هنا مُستعملٌ في التوقع؛ أي: الإشعار بحصول ما يتوقعه السامع. ومعنى التوقع الذي يؤذن به الحرف ﴿قَدْ﴾ في مثل هذا يؤول إلى تنزيل الذي يتوقع حصول أمر لشدة استشرافه له منزلة المتردد الطالب، فتحقيق الخبر من تخريج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر لنكتة⁽²⁾.

حُصُولُ
مَا يَتَوَقَّعُهُ
الْمُخَاطَبُونَ

بلادة المجاز في لفظ السماع:

السماع في قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ مجازٌ مرسلٌ عن القبول والإجابة بعلاقة السببية، أو كناية عن ذلك⁽³⁾، بقرينة دخول ﴿قَدْ﴾ التوقعية عليه؛ فإن المتوقع هو استجابة شكواها⁽⁴⁾. وعبر بالسماع دون غيره لشدة مناسبتها للمجادلة والاشتكاء⁽⁵⁾.

سَمَاعُ اللَّهِ
شَكْوَى الْمَرْأَةِ
سَمَاعُ قَبُولٍ
وإجابة

نكتة صيغة الماضي في ﴿سَمِعَ﴾:

جاء بصيغة الماضي في قول الحق ﷻ: ﴿سَمِعَ﴾؛ للدلالة على تحقق

حُصُولُ الْقَبُولِ
وَالْإِجَابَةِ مُتَحَقِّقًا

(1) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 219/23، والراعي، تفسير الراعي: 6/28.

(2) الزمخشري، الكشاف: 4/485، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 8/28.

(3) الألوسي، روح المعاني: 14/198، والخلوتي، روح البيان: 9/388.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 8/28.

(5) القنوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 18/484.

السَّماعِ وحصوله⁽¹⁾، وفي ذلك تقويةٌ لحصولِ القبولِ والإجابةِ منه تعالى لشكوى المرأة؛ إذ السَّماعُ مجازٌ عنهما أو كنايةٌ بحسب ما تقدّم.

سرُّ إيثارِ لفظِ الجلالة:

أوثرَ لفظُ الجلالةِ دونَ غيره في قوله تعالى ذكره: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾؛ لدلالته على صفاتِ العظمةِ والجلالِ الّتي بها يكونُ السَّماعُ والقبولُ والإجابةُ؛ "أي: أجابَ بعظيمِ فضله الَّذي أحاطَ بجميعِ صفاتِ الكمالِ، فوسَّعَ سمعُهُ الأصواتَ"⁽²⁾.

وجهُ التعبيرِ بلفظِ القولِ دونَ الكلام:

القولُ أعمُّ من الكلام؛ لصدقيه على المفردِ نحو: (زيد)، وعلى المركَّبِ غيرِ المفيدِ نحو: (إنَّ جاءَ زيدٌ)، وعلى المركَّبِ المفيدِ نحو: (جاءَ زيد)، أمّا الكلامُ فمختصٌّ بالمركَّبِ المفيدِ، ومن هنا فإنّه عبّرَ باللفظِ الأعمِّ وهو القولُ؛ ليفيدَ عمومَ السَّماعِ في المفيدِ وغيره⁽³⁾؛ أي: أنّه تعالى سمعَ كلَّ ما لفظتْ به ونطقتْ.

دلالةُ الإضافةِ في قوله: ﴿قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّلُكَ﴾:

الإضافةُ في قوله ﷻ: ﴿قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّلُكَ﴾ بمعنى اللّام، والمعنى: قولاً للّتي تجادلُكَ، والمرادُ به قولٌ معهودٌ، وهو ما يتعلّقُ بمظاهرةِ زوجها منها؛ من إظهارِ البتِّ والحزنِ والتضرُّعِ وطلبِ الحكمِ الشرعيِّ.

نكتةُ التعبيرِ بالموصولِ في ﴿الَّتِي تُجَدِّلُكَ﴾:

التعبيرُ بالموصولِ وصلته في قوله تعالى شأنه: ﴿الَّتِي تُجَدِّلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾؛ للتّنويهِ بمجادلتِها وشكّواها؛ لأنّها دلّتْ على توكلُّها الصّادقِ على رحمةِ ربّها بها وبأبنائها وزوجها⁽⁴⁾، وبذلك استجابَ الله لها.

(1) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 485 / 18.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 333 / 19.

(3) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 4 / 173، بتصرف وزيادة إيضاح، وقد وقع في الطبوعة: (المُقَدِّد) بدل: (المفيد)، ولعله خطأ طباعيّ؛ إذ لا دلالة له في سياق الكلام.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 8 / 28.

العظيم
سبحانه لا
يخفى عليه
شيء

للمسموع هو
الملفوظ كله

حديث المظاهرة
مسموع لله
تعالى

استحضاؤ
المرأة بالصفات
الرّفيعه

أو يقال: عبّر بالاسم الموصول لعدم حُسْنِ التّصريحِ بِاسْمِهَا،
ولعدمِ علمِ المُخاطَبِ سوى الصّلة⁽¹⁾.

بلغة التعبير بصيغة المضارع في ﴿تَجِدِلْكَ﴾:

المرادُ بالمُجادلة هنا المُكالمَةُ ومُراجعةُ الكلام؛ أي: مُعاودَتُهُ⁽²⁾.
والتّعبيرُ بصيغةِ المضارعِ في قوله ﷺ: ﴿تَجِدِلْكَ فِي زَوْجِهَا﴾ لحكايةِ
حالِ المُجادلةِ الماضيةِ واستحضارِها؛ لزيادةِ التّعجبِ منها⁽³⁾ ومن
غربةِ شأنِها وحالِها، وكأنَّ السّامعَ يرى هذه المرأةَ الآنَ وهي تجادلُ
النّبِيَّ ﷺ في أمرِ زوجها وظهارِها منها، فتمتليّ نفسه عَجَبًا.

نكتة صيغة المُفاعلة في ﴿تَجِدِلْكَ﴾:

والتّعبيرُ بصيغةِ المُفاعلةِ في قوله جَلَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿تَجِدِلْكَ فِي
زَوْجِهَا﴾ للدّلالةِ على مبالغةِ المرأةِ في المُجادلةِ، والمعنى: تبالغُ في أنْ
تَقْبِلَكَ إلى مرادِها⁽⁴⁾.

معنى ﴿فِي﴾ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿فِي زَوْجِهَا﴾:

كلمةُ ﴿فِي﴾ مِنْ قَوْلِهِ ﷺ: ﴿تَجِدِلْكَ فِي زَوْجِهَا﴾ بمعنى اللّام؛ أي:
تجادلُكَ لزوجِها⁽⁵⁾. ويجوزُ أنْ تكونَ سببيّةً⁽⁶⁾؛ لأنَّ المُجادلةَ والشّكوى
كانت بسببِ ظهارِ زوجها.

ويُحتملُ أنْ تكونَ على ظاهِرها مِنَ الطّرْفِ المَكانيّةِ المُجازيّةِ،
فيكونُ في الكلامِ إيجازٌ بحذفِ المُضافِ⁽⁷⁾، والمعنى: تجادلُكَ في شأنِ
زوجِها⁽⁸⁾، وفي الأمرِ المُخلّصِ لَهُ مِنْ ظهارِها منها⁽⁹⁾.

لا يُعلَمُ من حالِ
المرأةِ إلّا ما دلتْ
عليه الصّلة

حالُ المُجادلةِ
عجيبُ الشّأنِ

جزصُ المرأةِ على
المُجادلةِ

جدالُ المرأةِ كانَ
لأجلِ زوجها
وبسببِ

جدالُ المرأةِ كانَ
في شأنِ ظهارِ
زوجِها منها

(1) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 484 / 18.

(2) الخلوّتي، روح البيان: 388 / 9.

(3) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 484 / 18.

(4) البقاعي، نظم الدّرر: 334 / 19.

(5) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 485 / 18.

(6) قباوة، للفصل في تفسير الجلالين، ص: 1919.

(7) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 9 / 28.

(8) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 478 / 29، والنسفي، مدارك التنزيل: 444 / 3.

(9) البقاعي، نظم الدّرر: 334 / 19.

حِزْصُ الْمَرَأَةِ
عَلَى مَصْلَحَتِهَا
وَمَصْلَحَةِ زَوْجِهَا
وَأَوْلَادِهَا

اِخْتِيَارُ أَشْهَرِ
كَلِمَةٍ فِي الدَّلَالَةِ
عَلَى الْإِرَادَةِ

اِقْتِرَانُ مُجَادَلَةِ
الْمَرَأَةِ بِالشَّكْوَى
إِلَى اللَّهِ

حِكَايَةُ اِشْتِكَاءِ
الْمَرَأَةِ إِلَى اللَّهِ
وَتَصْوِيرُهَا

عَرَضُ الْإِضَافَةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿زَوْجَهَا﴾:

الإضافة في قوله تعالى: ﴿زَوْجَهَا﴾ بمعنى اللام، وفيها تحبُّبٌ وتودُّدٌ، ودلالةٌ على غاية حرص المرأة على بيان حكم شرعي يكون فيه مصلحة لها ولزوجها، ويضمن عدم ضياع حقوق أولادها.

سِرُّ التَّعْبِيرِ بِالزَّوْجِ دُونَ الْبَعْلِ:

عُبرَ بالزَّوْجِ دُونَ الْبَعْلِ في قوله ﷺ: ﴿تُجَدِّلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾؛ لَأَنَّ كَلِمَةَ الْبَعْلِ أَعْمُ؛ إِذْ قَدْ تُطْلَقُ عَلَى السَّيِّدِ وَالْمَالِكِ، فَاخْتِيَارُ أَخْصُ كَلِمَةٍ، بَحِيثٌ لَا يَتْبَادِرُ إِلَى الذَّهْنِ غَيْرُ الْمَعْنَى الْمَقْصُودِ مِنْهَا، وَلِأَنَّ الْغَالِبَ فِي الْقُرْآنِ اسْتِعْمَالُ لَفْظِ الزَّوْجِ، أَمَّا لَفْظُ الْبَعْلِ فَاسْتُعْمِلَ فِي الْمَوَاضِعِ الَّتِي حُكِيَ فِيهَا أَحْوَالُ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾ [هود: 72]، وَالْمَوَاضِعِ الَّتِي أُشِيرَ فِيهَا إِلَى التَّذْكِيرِ بِمَا لِلزَّوْجِ مِنْ سَيَادَةٍ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ أَمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُورًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾ [النساء: 128]⁽¹⁾.

دَلَالَةُ الْوَاوِ فِي ﴿وَتَشْتَكِي﴾:

الظَّاهِرُ أَنَّ الْوَاوَ فِي قَوْلِهِ ﷺ: ﴿وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾ لِعَطْفِ هَذِهِ الْجُمْلَةِ عَلَى جُمْلَةٍ ﴿تُجَدِّلُكَ﴾، فَهِيَ دَاخِلَةٌ أَيْضًا فِي حَيْزِ صَلَةِ الْمَوْصُولِ. وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ الْوَاوُ لِلْحَالِ، وَالْجُمْلَةُ فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ عَلَى الْحَالِ مِنْ فَاعِلٍ ﴿تُجَدِّلُكَ﴾؛ أَي: تَجَادَلُكَ شَاكِيَةً حَالَهَا إِلَى اللَّهِ⁽²⁾.

نَكْتَةُ صِغَةِ الْمَضَارِعِ فِي ﴿وَتَشْتَكِي﴾:

جِيءَ بِصِغَةِ الْمَضَارِعِ فِي قَوْلِ الْبَارِي ﷻ: ﴿وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾؛ لِحِكَايَةِ الْحَالِ الْمَاضِيَةِ وَاسْتِحْضَارِهَا بِقَصْدِ التَّعْجِيبِ مِنْهَا لِفِرَاقِهَا⁽³⁾، وَكَأَنَّ السَّمْعَ يَرَى هَذِهِ الْمَرَأَةَ الْآنَ وَهِيَ تَشْتَكِي وَتَتَضَرَّعُ إِلَى اللَّهِ ﷻ.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 2/ 393.

(2) السمين الحلي، الذر المصون: 10/ 261، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 215.

(3) القنوي، حاشية على تفسير البضاوي: 18/ 484.

بلادة الصيغة في ﴿وَتَشْتَكِي﴾:

الاشتكاء في قوله ﷺ: ﴿وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾ مُبالغة في الشكوى⁽¹⁾؛ لأنَّ صيغة الافتعال تدلُّ على ذلك، "يقال: شكا وتَشَكَّى واشتكى، وأكثرها مبالغة: اشتكى"⁽²⁾، والمعنى: وتعمَّد الشكوى بتلك المجادلة⁽³⁾، وتبالغ فيها.

مبالغة المرأة في
شكواها إلى الله

دلالة ﴿إِلَى﴾ في ﴿إِلَى اللَّهِ﴾:

حرف الجر ﴿إِلَى﴾ في قوله ﷺ: ﴿وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾ لانتهاى الغاية المكانية مجازاً، والمعنى: وتبالغ في الشكوى مُنتهية بها إلى الله تعالى⁽⁴⁾.

مُنتهى الشكوى
إلى الله تعالى

سرُّ إينار لفظ الجلالة في ﴿إِلَى اللَّهِ﴾:

اختير لفظُ الجلالة دون غيره من الأسماء الحُسنى في قول الحقِّ جلَّ ذكره: ﴿وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾؛ لدلالته على صفاتِ العظمة والجلال التي بها يسمعُ الشكوى، ويكشفُ الضرَّ والبلوى، ويجبرُ كسرَ عباده، ويشرعُ لهم من الأحكام ما فيه خيرهم وصلاحهم، والمعنى: وتشتكي إلى الملكِ العظيمِ الرحيمِ الذي أحاطَ بكلِّ شيءٍ علماً، وفي ذلك تنبيهٌ على قوَّةِ الرجاءِ وتوقُّعِ حصولِ المأمولِ⁽⁵⁾.

مَنْ تَضَرَّعَ
إِلَى الْعَظِيمِ
سُبْحَانَهُ مَا خَابَ
وَلَا خَسِرَ

دلالة الواو في ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَخَاوَرُكُمْ﴾:

الواو في قوله تعالى ذكره: ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَخَاوَرُكُمْ﴾ استئنافٌ، والجملة استئنافٌ جارٍ مجرى التعليل؛ فإنَّ إلحاحها في المسألة، ومبالغتها في التضرُّع إلى الله تعالى، ومُدافعتُهُ ﷺ إيَّاهَا بجوابٍ مُنبئٍ عن التوقُّفِ وترقُّبِ الوحي، وعلمُهُ تعالى بحالها؛ كلُّ ذلك من دواعي الإجابة⁽⁶⁾.

مَنْ أَكْثَرَ التَّضَرُّعِ
وَأَلَحَّ عَلَى اللَّهِ
فَهُوَ حَرِيٌّ
بِالْإِجَابَةِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 28 / 9.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 28 / 9.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 19 / 334.

(4) البقاعي، نظم الدرر: 19 / 334.

(5) البقاعي، نظم الدرر: 19 / 334.

(6) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8 / 215، والقونوي، حاشية على تفسير البياضوي: 18 / 485.

شكوى العبد
مسموعة من
الله

الله ﷻ مُتَّصِفٌ
بصفات العظمة
والجلال

سماعُ الله
تعالى تحاور
المرأة والنبي
مؤكَّد

عظمة شأن
تحاور المرأة
والنبي عند الله

وَيُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ الْوَاوُ لِلْحَالِ، وَالْجُمْلَةُ حَالٌ مِنْ ضَمِيرِ ﴿تَجِدِلْكَ﴾؛ أَي: وَالْحَالُ أَنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ تَحَاوَرَكُمَا⁽¹⁾.

سُرُّ إظهار لفظ الجلالة وتكريره:

الظَّاهِرُ أَنْ يُقَالَ: (وَهُوَ يَسْمَعُ تَحَاوَرَكُمَا وَهُوَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ)؛ لَتَقْدُمُ ذِكْرَ لَفْظِ الْجَلَالَةِ، وَأَنَّمَا أَظْهَرَ فِي قَوْلِهِ ﷻ: ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوَرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾؛ لِتَرْبِيَةِ الْمَهَابَةِ، وَإِثَارَةِ تَعْظِيمِ مَنْتَهَى تَعَالَى وَدَوَاعِي شُكْرِهِ، وَتَعْلِيلِ الْحُكْمِ بِوَصْفِ الْأُلُوْهِيَّةِ - فَإِنَّ لَفْظَ الْجَلَالَةِ يَشْتَمِلُ عَلَى صِفَاتِ الْعِظَمَةِ وَالْجَلَالِ، وَمِنْهَا السَّمْعُ وَالْبَصَرُ - وَتَقْوِيَةِ اسْتِقْلَالِ الْجُمْلَتَيْنِ⁽²⁾، بِحَيْثُ تَجْرِيَانِ مَجْرَى الْأَمْثَالِ.

غرض تقديم المسند إليه على المسند الفعلي:

قَدْ مَسَّنَدُ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ عَلَى الْمُسْنَدِ الْفَعْلِيِّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوَرَكُمَا﴾؛ لِتَقْوِيَةِ الْحُكْمِ⁽³⁾؛ لِأَنَّ الْجُمْلَةَ تَشْتَمِلُ عَلَى نِسْبَةِ السَّمَاعِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَفِي ﴿يَسْمَعُ﴾ ضَمِيرٌ يَرْجِعُ إِلَى لَفْظِ الْجَلَالَةِ، فَيَفِيدُ نِسْبَةَ السَّمَاعِ إِلَيْهِ مَرَّةً أُخْرَى، كَأَنَّهُ قِيلَ مَرَّتَيْنِ: يَسْمَعُ اللَّهُ تَحَاوَرَكُمَا، يَسْمَعُ اللَّهُ تَحَاوَرَكُمَا.

الغرض من إلقاء الخبر ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوَرَكُمَا﴾:

كَوْنُ اللَّهِ تَعَالَى عَالِمًا بِمَا جَرَى مِنَ الْمَحَاوَرَةِ مَعْلُومٌ، فَلَا يَرَادُ مِنَ الْإِخْبَارِ بِهِ إِفَادَةُ الْحُكْمِ، فَتَعَيَّنَ صَرْفُ الْخَبَرِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوَرَكُمَا﴾ إِلَى لَازِمِ إِفَادَتِهِ، وَهِيَ إِرَادَةُ الْاِعْتِنَاءِ بِذَلِكَ التَّحَاوَرِ، وَالتَّنْوِيهِ بِهِ وَتَعْظِيمِ مَنْزِلَتِهِ؛ لِاشْتِمَالِهِ عَلَى تَرَقُّبِ النَّبِيِّ ﷺ مَا يُنَزَّلُ عَلَيْهِ مِنْ وَحْيٍ، وَتَرَقُّبِ الْمَرْأَةِ الرَّحْمَةِ، وَإِلَّا فَإِنَّ الْمُسْلِمِينَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ عَالِمٌ بِتَحَاوَرِهِمَا⁽⁴⁾.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 334، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 28/ 9.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 216، والألويسي، روح المعاني: 14/ 199.

(3) القونوي، حاشية على تفسير البضاوي: 18/ 485.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 28/ 9.

بلادةُ التعبيرِ بالمضارعِ في ﴿يَسْمَعُ﴾:

صيغةُ المضارعِ في قوله ﷺ: ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرُكُمَا﴾ للدلالةِ على استمرارِ السَّمعِ حسبَ استمرارِ التَّحَاوُرِ وتجديده⁽¹⁾.

أو لاستحضارِ حالةِ مقارنةِ علمِ اللهِ لتحاورِهما؛ زيادةً في التَّنويهِ بشأنِ ذلكِ التَّحَاوُرِ⁽²⁾.

براعةُ التَّغْلِيْبِ في ﴿تَحَاوُرُكُمَا﴾:

في قوله تعالى: ﴿تَحَاوُرُكُمَا﴾ تغليبٌ للخطابِ على الغيبةِ، بَنَظْمِ المرأةِ في سَلَكِ الخطابِ، والخطابُ هنا إِنَّمَا هو للنَّبِيِّ ﷺ؛ لقوله تعالى: ﴿تُجَدِّدُكَ﴾، وفي ذلكَ تشريفٌ لها⁽³⁾ بعزِّ الخطابِ والحضورِ ومعيةِ النَّبِيِّ ﷺ.

نكتةُ صيغةِ التَّفَاعُلِ في ﴿تَحَاوُرُكُمَا﴾:

عُبِّرَ بصيغةِ التَّفَاعُلِ في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿يَسْمَعُ تَحَاوُرُكُمَا﴾؛ لأنَّ التَّحَاوُرَ حصولُ الجوابِ مِنْ جانِبَيْنِ، فيقتضي مراجعةً بينَ شخصَيْنِ⁽⁴⁾، يُرْجَعُ كُلُّ منهما الكلامَ إلى صاحبهِ.

غرضُ الإِضَافَةِ في ﴿تَحَاوُرُكُمَا﴾:

الإِضَافَةُ في قوله جَلَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿تَحَاوُرُكُمَا﴾ بمعنى اللّامِ، والمعنى: تحاورًا لكما، والمرادُ بهِ تحاورٌ معهودٌ، وهو ما جرى بينها وبينَ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ الكلامِ عن مُظَاهَرَةِ زوجها لها.

علَّةُ فَضْلِ ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾:

فُصِّلَ قوله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ عمَّا قبله؛ لِما بينَ الجُمْلَتَيْنِ مِنْ شبهِ كمالِ الاتِّصالِ؛ لأنَّه تعليلٌ له بطريقِ التَّحْقِيقِ، والمعنى:

استمرارُ السَّمعِ
باستمرارِ
التَّحَاوُرِ

استحضارُ حالةِ
مُقارنةِ علمِ اللهِ
لتحاورِهما

تشريفُ المرأةِ
بعزِّ الخطابِ
والحضورِ

التَّحَاوُرُ تَحَاوُبٌ
مِنْ شَخْصَيْنِ

تحاورُهما
المعهودُ مسموعٌ
للهِ تعالى

مَنْ كَانَ سَمِيعًا
بَصِيرًا فَلَنْ
يَخْفَى عَلَيْهِ
شَيْءٌ

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 215، والآلوسي، روح اللعاني: 14/ 199.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 28/ 9.

(3) البياضوي، أنوار التنزيل: 5/ 192، والخفاجي، غناية القاضي: 8/ 164.

(4) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 334، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 28/ 9.

إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ كُلِّ صَوْتٍ، وبكلِّ مرثيٍّ، وَمِنْ ذَلِكَ مُحَاوَرَةُ الْمُجَادِلَةِ
وَوُقُوعُهَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ (1).

نكتة توكيد ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾:

لَمَّا كَانَ سَمَاعُ قَوْلِ الْمُجَادِلَةِ فِي غَايَةِ مَا يَكُونُ مِنْ خَرَقِ الْعَادَةِ أُكِّدَ
قَوْلُهُ ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾؛ تَبْيِيهَا عَلَى شِدَّةِ غَرَابَتِهِ، وَلِأَنَّهُ رَبُّمَا
اسْتَبْعَدَهُ مِنْ اِشْتِدَادِ جَهْلِهِ؛ لِتَقْيِيدِهِ بِالْعَادَاتِ (2).

نكتة الجمع بين السَّمْعِ والبَصَرِ:

جُمِعَ بَيْنَ صِفَتَيْ السَّمْعِ والبَصَرِ فِي قَوْلِهِ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ
سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾؛ لِيَتَنَاوَلَ الْكَلَامُ جَمِيعَ الْأَقْوَالِ وَالْأَحْوَالِ؛ إِذِ الْمَعْنَى:
سَمِيعٌ لِلْأَقْوَالِ بَصِيرٌ بِالْأَحْوَالِ (3)، وَفِي ذَلِكَ تَبْيِيهُ عَلَى أَنَّ الْخَلْقَ
كُلَّهُمْ تَحْتَ سُلْطَانِهِ تَعَالَى.

بلاغة صيغة (فَعِيلٍ) فِي ﴿سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾:

عُبِّرَ بِصِيغَةِ (فَعِيلٍ) فِي قَوْلِهِ ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾؛ لِلْمَبَالِغَةِ
فِي اتِّصَافِهِ تَعَالَى بِالسَّمْعِ والبَصَرِ، وَالْمَعْنَى: إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ السَّمْعِ لِكُلِّ
مَسْمُوعٍ، وَبَالِغُ البَصَرِ لِكُلِّ مَا مُبْصَرٍ (4).

غرض تقديم السَّمْعِ على البَصَرِ:

قُدِّمَ السَّمْعُ عَلَى البَصَرِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى شَأْنُهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ
سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾؛ لِأَنَّ بَعْضَ مُتَعَلِّقِهِ مَذْكُورٌ صَرِيحًا، بِخِلَافِ مُتَعَلِّقِ
البَصَرِ؛ فَإِنَّهُ مُتَّفَهِّمٌ مِنَ الْفَحْوَى (5)، وَلِأَنَّ تَأْخِيرَ ﴿بَصِيرٌ﴾ أَنْسَبُ
بِرِعَايَةِ الْفَاصِلَةِ.

لا غرابة في
سماع الله
ما يخفى على
البشر

الله تعالى
مطلع على
أقوال الخلق
وأحوالهم

اتصافه تعالى
بالسمع والبصر
اتصافاً بليغاً
مطلقاً غير
محدود

رعاية الفاصلة،
ومناسبة
السياق بتقديم
ما له متعلق
صريح

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 216، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 28/ 9.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 334، والألوسي، روح المعاني: 14/ 199.

(3) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 192، والقونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 18/ 485.

(4) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 334.

(5) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 18/ 485.

❖ الفروق المُجَمَّيَّة:

الكلام والقول والنطق:

الكلام: هو ما كان مُكْتَفِيًا بِنَفْسِهِ، وهو الجملة. والقول: ما لم يكن مُكْتَفِيًا بِنَفْسِهِ، وهو الجزء مِنَ الجملة⁽¹⁾، أو القول أعمُّ مِنَ الكلام؛ لصدِّقه على المفرد، وعلى المركَّب⁽²⁾. وأمَّا النُّطْقُ: فهو الأصواتُ الْمُقْطَعَةُ الَّتِي يُظْهِرُهَا اللِّسَانُ، وَتَفْهَمُهَا الْأَذَانُ، وَلَا يَكَادُ يُقَالُ إِلَّا لِلْإِنْسَانِ، وَلَا يُقَالُ لِغَيْرِهِ إِلَّا عَلَى سَبِيلِ التَّبَعِ، نَحْوُ: النَّاطِقِ وَالصَّامِتِ، فَيَرَادُ بِالنَّاطِقِ مَا لَهُ صَوْتٌ مِنَ الْإِنْسَانِ وَغَيْرِهِ، وَبِالصَّامِتِ مَا لَا صَوْتَ لَهُ، وَلَا يُقَالُ لِلْحَيَوَانِ: نَاطِقٌ، إِلَّا مُقَيَّدًا أَوْ عَلَى سَبِيلِ التَّشْبِيهِ⁽³⁾. وقد عُبِّرَ بالقول هنا؛ لَأَنَّهُ أَعَمُّ مِنَ الْكَلَامِ⁽⁴⁾، فَيَكُونُ أَنْسَبَ بِسِيَاقِ بَيَانِ كَوْنِهِ تَعَالَى سَمِيعًا لِدَقِيقِ الْكَلَامِ، قَلِيلًا وَكَثِيرًا.

المُجَادَلَةُ وَالْمُحَاجَّةُ:

المُحَاجَّةُ: أَنْ يَطْلُبَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْمُخْتَلَفِينَ أَنْ يَرُدَّ الْآخَرَ عَنْ مَحْجَّتِهِ وَمَقْصِدِهِ⁽⁵⁾. والمُجَادَلَةُ: الْإِحْتِجَاجُ وَالِاسْتِدْلَالُ⁽⁶⁾، وَالْمُرَاجَعَةُ فِي الْكَلَامِ⁽⁷⁾. وقد عُبِّرَ بِالْمُجَادَلَةِ هُنَا؛ لِدَلَالَتِهَا عَلَى مُعَاوَدَةِ الْكَلَامِ الْحَاصِلَةِ بَيْنَ الْمَرْأَةِ وَبَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ⁽⁸⁾، وَلَيْسَ الْمُرَادُ بَيَانَ حَرْصِ كُلِّ مِنْهُمَا عَلَى إِقَامَةِ حُجَّتِهِ عَلَى الْآخَرِ لِيُعْبَرَ بِالْمُحَاجَّةِ.

الله تعالى
سامع كلِّ مقول
قل أم كثر، جهر
به أم لم يجهر

مراجعة المرأة
النبي ﷺ في
قضية ظهار
زوجها منها

(1) الرِّبِيدِي، تاج العروس: (كلم).

(2) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 4 / 173.

(3) السَّامِنُ الْحَلْبِي، عمدة الحفاظ: (نطق).

(4) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 4 / 173.

(5) الرَّاغِب، المفردات: (حج).

(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 8 / 28.

(7) الرَّاغِب، تفسير الرَّاغِب: 4 / 28.

(8) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8 / 215، والقونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 18 / 484.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الستون،
سورة الحديد من الآية 14 إلى سورة الخشر الآية 10
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447 هـ - 2026 م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026 م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الستون، سورة الحديد من الآية 14 إلى سورة الخشر الآية 10
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2026.
مج. 60، 802 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك: 978-9948-643-66-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 60: المجلد الستون، سورة الحديد من الآية 14 إلى سورة الخشر الآية 10.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-
ألفاظ أ-العنوان ب- مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-643-66-1

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-5294607 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"